دار التوحيد
لتحفيظ القرآن الكريم
٠٥٤٠٧٠٢٠٠١ - ٢٦١٩٥٦٤

# الغفلة والخواتيم

جمع وإعداد: أ/ نجلاء السبيل

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم أنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا العسرى وهيأ لنا من أمرنا رشداً. نعوذ بجلال وجهك أن تجدنا حيث نهيتنا ونعوذ بجلال وجهك أن تفقدنا حيث أمرتنا ونسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تستعملنا في طاعتك وأن تجعلنا ممن قرّت أعينهم بك وانشرحت صدورهم بك وانقادت نواصيهم إليك وبلغنا من الخير أكثر مما نؤمل واصرف عنا من الشر أكثر مما نحذر وغيرّنا إلى أحسن الأحوال يارب العالمين اللهم آمين.

مستعينين بالله متوكلين عليه متبرئين من حولنا وقوتنا نبدأ درسنا والذي سيأخذ الطابع الوعظي وأردت بهذا الوعظ أن نعظ قلوبنا فينزحُ القلبُ إلى الله وإن كان الجسدُ مازال يدب في الأرض والحق أننا نحتاج جميعاً وعظ لاسيما ونحن نرى كثرة الأموات حولنا.

كم فقدنا وكم بكينا وتألمنا وكم عزينا ولكن ثم ماذا؟ مافائدة أن نحزن ونبكي ونتألم ثم لانفعل شيئاً ؟ لذلك نحن بحاجة أن نعظ أنفسنا بموعظةٍ حقيقية واضحة جلية متواترة على القلب حتى تؤثر فيه وتجلو الصدأ الذي تراكم عليه والله تعالى يقول: ***(... وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتا، وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً، وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً*** ) النساء(٦٦-٦٨) هذه أربع جوائز كبرى وعد الله بها من تأثر بالموعظة وانتفع بالموعظة وعمل بالموعظة :

١. الخيرية
٢. التثبيت
٣. الأجر العظيم
٤. الهداية

هذه أجزية وعطايا وهبات نسأل الله أن يكتب لنا منها أوفر الحظ والنصيب وأن لايجعلنا ممن يسمع ويتأثر إذا جلس فقط وتخرج منه الآهات والزفرات والحسرات ثم إذا خرج انطبق عليه قول القائل :

(ودّع هريرة إن الركب مرتحلُ)

فنعوذ بالله من الخذلان ونعوذ بالله من علم لاينفع....

ونعوذ بالله أن نكون من الأقماع الذين يدخل الكلام إلى مسامعهم ويخرج منها بدون أن يؤثر فيهم ، ونسأل الله أن يجعلنا ممن إذا تعلم انتفع بعلمه وعمِلَ به....

***فـائـــدة :***

***قال ابن الجوزي :***

***المواعظ سياط تُضرب بها القلوب فتؤثر في القلوب كتأثير السياط في البدن....كلما قوي الضرب كانت مدة بقاء الألم أكثر.***

***(لطائف المعارف)***

# الغفلة والخواتيم

الغفلة مرض يمرض به الإنسان ، مرض من أمراض القلوب يصيب القلب فيرديه يجعله الله في قلوب من لايرتضيهم من عباده، قال تعالى :

**(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)**(الأعراف(١٧٩) ويقول عز وجل :**(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ)**(الأنبياء(١)

ويقول تعالى:( **ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**)الحجر(٣)

الغافل: هوذلك الإنسان الذي يمشي في هذه الدنيا مترنحاً يميناً وشمالاًحائراً تائهاً، يتخبط ويتعثر وكأنه يمشي في ظلام ، لايعرف أين يضع قدميه حاله كمن يمشي برجليه للأمام لكنه ينظر برأسه إلى الخلف، ما أن يفتتح يومه حتى ينتهي وما إن يفتتح ليلته حتى تنتهي أيامه ولياليه وساعاته وعمره تمضي بلا شيء تمضي بلا بركة.

وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن العبد إذا قام بين يدي ربه يوم القيامة فإن الله عز وجل يقول له: ألم أكرمك ؟ ألم أسّودك؟ ألم زوجك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل؟ وأتركك ترأس وتربع؟

فيقول : بلى يارب

قال : فظننت أنكَ ملاقي؟

فيقول : يارب لا

قال : فاليوم أنساك كما نسيتني) (رواه مسلم)

والجزاء من جنس العمل، ومن ضيع الله ضيعه الله.....

الله عز وجل يقول: ***( وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا،لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا)*** *الفرقان*(١٣-١٤)

ماهو الثبور؟ يصرخ ويثور ويدعو على نفسه بالهلاك والويل والحسرة والخيبة وهو في جهنمُ قرنت يديه إلى عنقه بالسلاسل فيتركه الله وينساه وكأنه لايسمعه...

والجزاء من جنس العمل ومن ضيع الله ضيعه الله...

البعض منا يعيش في هذه الدنيا وقد انطبق عليه قول الله تعالى (***الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ***)يعيش غرقاناً مغموراً كذاك الذي غمرته المياه من كل جهاته فأغرقته .

نحن في هذا الدنيا مغمورين بالفتن من فوقنا ومن تحتنا ومن أمامنا ومن خلفنا وعن يميننا وشمالنا{ فضائيات، إعلام، أغاني ، نت مواقع، جوالات اتصالات ، خمور، تدخين، مخدرات، علاقات،أسواق ، كبائن، مطاعم استراحات، سفريات ، خرجات...} كل هذه غمرات تلو غمرات تجعل الإنسان يعيش ساهياً فاقداً الوعي يتخبط تجعله يفقد الإحساس وكأن القلب عنده قد تآكل وأصيب بالجذام و كما أن أصحاب مرض الجذام والعياذ بالله لو غرزت مئة إبرة في أجسادهم لايشعرون لأن خلايا الأعصاب والإحساس عندهم قد ماتت ، فهذا القلب الغارق في لجة هذه الغمرات قد تآكل وأُصيب بجذام نفسي فَقَد معه الإحساس .

وأمام هذا الكم الهائل من الغمرات نحن بحاجة إلى ضمادات تماماً مثل الإنسان الذي تُكسر رجله أو يده ويضعوا له ضمادات حتى يستطيع أن يمشي وأن يتحرك كذلك نحن بحاجة لضمادات إيمانية( ضمادات من القرآن ، ضمادات من الوعظ والتذكير ، ضمادات من الذكر والدروس وحلق العلم وضمادات من صحبة الصالحين) نحتاج لهذه الضمادات حتى لانغرق أكثر وأكثر في هذه الغمرات.

نحتاج أن ندفع بشدة وبقوة وبعزم وإصرار حتى نخرج من هذا الغرق ومن هذه الغمرة ومن هذا الاختناق .

ولماذا كل هذا التعب وهذا الدفع وهذا العناء؟

حتى لاتفاجئنا اللحظة الأخيرة لحظة الموت وهي آتيةٌ لامحالة وقد تأتي فجأة بدون مقدمات وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن في آخر الزمان يكثر موت الفجأة)

***الموت حق وسيأتي شئنا أم أبينا***

***كأس كلنا شاربه و كلنا ذائقه .***

***قال صلى الله عليه وسلم: (أتاني جبريل فقال: يامحمد عش ماشئت ، فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، وأعمل ماشئت فإنك مجزي به...)*** (السلسة الصحيحة)(٨٧٩)

ستأتي لحظة ينتهي فيها كل شيء هذا هو الموت إدبار الدنيا وإقبال الآخرة لايعرف بواباً ولا حارساً إذا نزل نزل ( وكلُ حي سيموت)

قد يموت الطفل في رحم أمه وقد يموت الشاب في مقتبل عمره، وقد تموت الأم وتترك رضيعها على صدرها، إنه الموت الذي استغلق بسرّه على العلماء وأعجز بأمره العظماء والحكماء، فاذا نزل الموت وجاءت اللحظة الأخيرة (لحظة الخاتمة) ليس لك خيار إما أن تكون فيها:

**ميتاً طيباً** كما قال تعالى: ***(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ*** )النحل(٣٢)

وهو من ختم له بحسن الخاتمة.

-يقول ابن رجب الحنبلي:( يُقال للملك إذا ذهب ليقبض روح العبد: شم رأسه فيقول : أجد في رأسه رائحة القرآن، فيقال : شم بطنه فيقول : أشم في بطنه رائحة الصيام ، فيقال : شم قدميه ، فيقول : أشم في قدميه رائحة القيام ، فيقال: عبدُ حفظ نفسه فحفظه مولاه)

- أحد المشايخ الشناقطة كان له درس في الحرم النبوي بعد صلاة الفجر ويُعرف عن هذا الشيخ أنه يأتي مبكراً للحرم ، وبعد صلاة الفجر في أحد الأيام اتكأ بظهره على الجدار ثم بدأ الطالب يقرأ المتن ليشرح الشيخ بعد القراءة فإذا بالشيخ يغمض عينيه وماهو إلا قليل حتى مال على جنبه وقد قُبضت روحه في تلك اللحظة !! تأمل قبضت روحه في مسجد رسول الله وفي مجلس علم وبعد صلاة الفجر وبعد أن قرأ أذكاره.

.(نقلاًمن شريط حسن الخاتمة للشيخ محمد المختار الشنقيطي-بتصرف)

الله أكبر من عاش على الخير في حياته لقي الخير عند مماته (لمثل هذا فليعمل العاملون)الصافات(٦١)

- محمد بن المنكدر الذي عرفته الليالي متهجداً باكياً وكانت أمه تستعين بأخيه عمر بن المنكدر وأبي حازم حتى يكف عن البكاء طوال الليل لما جاءه الموت أتى صفوان بن سليم إليه، فمازال يهوَن عليه الأمر، وينجلي عن محمد حتى لكأن وجهه المصابيح ، ثم قال له: لوترى ما أنا فيه لقرّت عينك ثم قضى رحمه الله.(كتاب الجزاء من جنس العمل (٤١٨/٢)

-عن أم هاشم الطائية قالت :(رأيت عبد الله بن بُسر يتوضأ فخرجت نفسهُ رضي الله عنه) (تحفة النبلاء بترتيب سير أعلام النبلاء)

وإما أن تكون **ميتاً بغيضاً**: الكل يبغضها البلاد والعباد والشجر والدواب، وأبى الله إلا أن يفضحه بسوء الخاتمة ويحول بينه وبين قلبه ولسانه فلا ينطق بلا إله إلا الله وتثقل على لسانه .

- قال الإمام عبد الحق الأشبيلي في كتابه (العاقبة) يُروى أن بعض رجال الناصر بن علناس نزل به الموت ، فجعل ابنه يقول له: قل لاإله إلا الله فقال الناصر: مولاي فأعاد عليه فأعاد : هو.

- وقيل لآخر نزل به الموت قل لاإله إلا الله فقال :(الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا وأفعلوا كذا) (نقلاً عن كتاب الجزاء من جنس العملب بتصرف (٤١٧/٢)

-ذكر القرطبي رحمه الله أن أحد الولاة لما مات وأرادوا أن يقبروه حفروا له قبراً فخرج لهم ثعبان فاغرٌ فاه ، فحفروا له قبراً آخر فإذا بالثعبان يخرج لهم ، حتى حفروا له ثلاثين قبراً ومازال يخرج لهم ذلك الثعبان.
(انظر درس الميت البغيض للشيخ سمير مصطفى) ميتٌ بغيض حتى الأرض تلفظه....

## فإما أن تكون **ميتاً طيباً أو ميتاً بغيظاً**

قال المناوي رحمه الله ( من سلكَ طريق أهل الله وردَ عليهم فصار من السعداء ومن سلك طريق الفجار ورَدَ عليهم فصار من الأشقياء والإنسان مع من أحب ومن تشبه بقومٍ فهو منهم والعبد يُبعث على ما مات عليه )

(فيض القدير٥/٤٧)نقلاً عن كتاب الجزاء من جنس العمل)

## ❖ولكن ما علاقة هذه اللحظة الأخيرة والخاتمة بهذه الغفلة وهذه الغمرة؟ هل بينهما ارتباط؟

كما يقال : الخواتيم ميراث السوابق، وشيخ الإسلام ربط ربطاً عجيباً وبديعاً بين حسن الخاتمة وسوءها وبين طيب النفس وخبثها.

وفي سورة الشمس أقسم الله عز وجل أحد عشر قسماً متتالية على ماذا أقسم الله؟ ***(قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)***

الفلاح لمن زكى نفسه والخيبة لمن دساها أي : الفلاح لمن زكى نفسه وطهرها ونقاها وصفاها من الرذائل والقبائح والأوحال والغمرات والغفلة والرقدة والسوء والخبث وبعد أن طهرها ونقاها بدأ يعمرها بالمكارم والمحاسن والطاعات والصالحات حتى أصبحت نفسه نفساً زكيةً طيبةً فيها جمالٌ، وفيها نور، فيها صفاء ولها رائحة طيبة كأجود طيبٍ شممُته بأنفك قط.

أما الصنف الثاني: (وقد خاب من دساها).

ماهي التدسية؟ هي النقص والإخفاء بالفجور والمعاصي قال تعالى: ***(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ *)***

يدسه : أي يدفنه في التراب فهذا الدفن وهذا الإخفاء فيه سفول ونزول وظلمة وضيق وهذا يحصل للنفس من كثرة ما تراكم عليها من الشرور والسوء والخبث والغفلة والغمرات والمعاصي والحرام حتى تصبح هذه النفس نفساً خبيثة : فيها قبحٌ وُظلمة وسواد ولها رائحة نتنة كريهة كرائحة الجيفة بل كأنتن رائحة جيفة شممتها بأنفك قط.

فإذا جاءت لحظة النهاية لحظة الخاتمة والرب سبحانه وتعالى يُجري زفرات الموت وسكراته على العبد وتتكاثر هذه السكرات على القلب والقلب ماهو إلا وعاء يمتلئ وعلى حسب ما امتلأ سيفيض ويضخ وينطق به اللسان .

- فصاحب النفس الطيبة الزكية الذي عاش طيلة حياته ينقيها ويصفيها ويجاهد نفسه ويصبر ويصابر ويجبر نفسه على الطاعة جبراً ونفسه تطيعه مرة وتتلوىّ عليه مرات، عاش وهو يربي نظره لأنه يعرف أن العين تمرض وأن من أبتلي في نظره وأطلقه هنا وهناك (تعب قلبه) ولن يشبع ولن يرتوي ، بل إن نظرة واحدة قد تغرقه وتؤثر عليه وتهلكه، عاش يربي سمعه لأن الأذن تمرض هي أيضاً وتسمع ما يسوء، ويربي لسانه لأن اللسان يمرض بل يتلوث ويهلك صاحبه.

أمضى حياته في حبس ومجاهدة ومشقة وتعب ، وكانت روحه تعلو وتعلو وترتفع لهذه التزكية ولهذه التربية ويزداد طيبها فيتناثر عطراً وريحاناً ويزداد اقتراب الملائكة منها ، والملائكة تقترب من العبد الصالح كل ما كان طاهراً محافظاً على الوضوء غالب وقته ومداوماً على الطاعات ومكثراً من الذكر ومبتعداً عن الخبائث فكل هذا يستجلب حضور الملائكة فتصحبه وتجلس إليه ليلاً ونهاراً.

وتسدده وتؤيده وتدفعه للخير وتنشطه للطاعات وتدعو له وتترحم عليه وهذه صحبتها له في الدنيا.

فإذا جاءت لحظة الخاتمة لحظة قبض الروح وخروجها ومفارقتها للبدن

هان عليه الموت وجاءته الملائكة فإذا فزع تقول له اهدأ وأطمئن لن تُراع لقد زُينت لك الجنة (***إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون***)

***آنس الله بطاعته فآنسه الله عند موته*** وجاءته ملائكةٌ بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم كفن من أكفان الجنة يجلسون منه مدّ البصر ويجلس ملك الموت عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج سريعة كما تخرج القطرة من في السقاء ثم تأخذها ملائكة الرحمة مباشرة من ملك الموت ولا تبقيها في يده طرفة عين ويجعلونها في ذلك الكفن والحنوط ويصعدون بهذه الروح وتفتح لها أبواب السماء .

وكل مامرّوا بأهل سماء من الملائكة إلا قالوا : ماهذه الروح الطيبة ؟ فيقولون فلان بن فلان بأحب أسمائه في الدنيا، حتى إذا وصلوا للسماء السابعة ، قال الله عز وجل:(أكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض).

- وعليين تدل على مكان عالٍ مرتفع في السماء السابعة وهو مستقر أرواح المؤمنين.

فتستقبلها أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ويهنئونها على الفوز والنجاة ، ثم يأمر الله هذه الروح أن تعاد مرة ثانية إلى الأرض ، فتعود وتكون الجنازة قد جُهزت وحُملت إلى المقبرة فتكون هذه الروح الطيبة الزكية فوق الجسد تقول : عجلوني ،عجلوني ، وما إن يوضع في قبره حتى تعود إلى جسده ويسمع قرع نعالهم ويسأله الملكان ويأتي التثبيت الآخر الذي يحصل له في قبره وبرزخه، هذه هي رحلة ذلك الميت الطيب.وهذه هي خاتمته- ختم الله لي ولكم بحسن الخاتمة.

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (ثلاثٌ أحلف عليهن : لايجعل الله تعالى من له سهم في الإسلام، كمن لاسهم له ، وأسهم الإسلام ثلاثة:الصلاة والصوم والزكاة، ولايتولى الله عبداً في الدنيا فيُوَلّيه غيره يوم القيامة ولايحبُ رجلٌ قوماً إلا جعله الله معهم...)صححه الألباني في صحيح الجامع(٣٠١٨)

قال المناوي رحمه الله : لايتولى الله عبداً من عباده في الدنيا فيحفظه ويرعاه ويوفقه فيّوليّه غيره يوم القيامة بل كما يتولاه في الدنيا التي هي مزرعة الآخرة سيتولاه في العقبى ولايكلهُ إلى غيره...(الجزاء من جنس العمل(٣٥٢/٢) .

-أما روح ذلك الميت البغيض الذي أغرق نفسه بالغمرات والخطايا والغفلة واللهو وأعطى نفسه هواها أعطاها كل ماتريد لطخها دنسها طاف بها في كل وادي وخاض بها في كل غمرة وتلطخ بكل وحل الملائكة كانت تنفر منه والشياطين تسلطت عليه فكانت تتخبطه وتؤزه وتدفعه فما يُدفع إلا للشر والسوء والأوحال والخطايا (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) فأصبحت نفسه من كثرة ماتراكم عليها من هذه الغمرات وهذه الخطايا في نزول وسفول وضيق وظلمة حتى كأنها دُفنت في البدن دفناً فإذا جاء ملك الموت وجاءت لحظة الخاتمة اشتد عليه النزع ، روحه لم تكن في علو وارتفاع بل كانت في سفول ونزول وانحدار وجلس ملك الموت عند رأسه يقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب فينتزعها كما يُنزع السفّود من الصوف المبلول. السَفّود : سيخ من الحديد ساخن وأدخلوه في صوف مبلول لصق فيه فكيف سيخرج منه؟ لن يخرج حتى يُقطّع ويمّزق وتخرج روحه وكأنما يتنفس من ثقب إبرة وكأنما أُطبقت السماء على الأرض وروحه بينهما تُنتزع نزعاً، فإذا قبضها ملك الموت أخذتها ملائكة العذاب وهم ملائكةٌ سود الوجوه معهم المسوح ولم يبقوها في يده طرفة عين يجعلونها في تلك المسوح ويصعدون بها وتخرج منها رائحة كأنتن جيفة وُجدت على الأرض، فيصعدون ولايمرون على ملأ من الملائكة إلا ويقولون : ماهذه الروح الخبيثة؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه في الدنيا (والعياذ بالله) فيقول الله عز وجل: أكتبوا كتابه في سجين : وهو مستقر أرواح الكفار والفجار والمنافقين وقيل أنه في الأرض السابعة وأنه سجن مقيم وعذاب أليم أسفل السافلين.

فتطرح روحه طرحاً فوق الجنازة تقول: يا ويلها ماذا يفعلون بها...؟ هذه هي رحلة الميت البغيض عافانا الله وإياكم ، فرقٌ أن تكون داخل الغمرة أو خارجها وبين أن تكون مزكياً لنفسك مخففاً من أحمالها وبين أن تدفنها دفناً وتخوض بها خوضاً، شجرة الحنظل لاتطرح تفاحاً ، من كان على الخير في حياته، لقي الخير عند مماته ولايظلم ربك أحداً

***( وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)***

فإما خاتمة حسنة وملائكة بيض الوجوه وكفن من أكفان الجنة وطيب من الجنة ورائحة طيبة من نفس طيبة، وإما خاتمة سيئة وملائكة سود الوجوه وأكفان من النار وريحٌ خبيثة وعمل قبيح كروحه والعياذ بالله .
إما أن تثبت بلا إله إلا الله عند الموت (ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) وإما أن يحول الله بينك وبينها فتثقل على لسانك.

***وكما لايجتني الشوك من العنب***

***كذلك لاينزل الفجار منازل الأبرار***

***فاسلكوا أي طريقٍ شئتم***

***فأيّ طريقٍ سلكتم وردتم على أهله*** ...(حسنه الألباني في صحيح الجامع/٤٥)

## ومن أراد الخاتمة الحسنة سعى لها.

فكن وصي نفسك واعمل ماتستطيع أن تعمله من الصالحات بما يبيض وجهك عند موتك، وعند خروج روحك وفي برزخك ، وإذا وقفت بين يدي ربك ولاتنتظر من أحد بعد موتك أن يعمل لك شيئاً.

ولنبدأ الجانب العملي من درسنا :

## *ماهي الأسباب المباشرة لسوء الخاتمة؟*

- التعبد لله بالبدع
- مخالفة الظاهر للباطن
- التعلق
- الأماني
- المعاصي بدون توبة

١- **التعبد لله بالبدع**: أول من يخشى عليهم سوء الخاتمة هم (أهل البدع)

قال الله عز وجل ***:(ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّهِ ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً )***النساء(١١٥)

الذي يشاقق الرسول ويخالف سنته صلى الله عليه وسلم ويكون هو في شق والرسول في شق آخر فهذا يُطرد ولايُقبل منه عمله ( من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)

الله يقول: ***(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)***

ومن شروط قبول العمل موافقته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحذر البدعة وأعلم أن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته .(انظر صحيح الترغيب والترهيب)

والغالب أن صاحب البدعة لايُوفق للتوبة لأنه معتقدٌ صحتها وأنها دين وقربى يتقرب بها إلى الله عز وجل.

-وكما قال ابن القيم رحمه الله :(العمل بلا إخلاص ولا إتباع ولا إقتداء مثل المسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولاينفعه)

فإياك والابتداع في الدين وإياك والتقدم برأيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشاققته فإنه يُخشى عليك إن مت أن تموت وأنت مصر على التغيير والتبديل والإحداث في الدين وتسوء خاتمتك وتطرد عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو مسيرة شهر وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كعدد نجوم السماء ومن شرب منه فإنه لايظمأ أبداً.

كما جاء في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم(ليردن عليّ ناسٌ من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقال لي ماتدري ما أحدثوا بعدك)

وفي رواية (إني على الحوض انظرُ من يَرد عليَ منكم وسيُؤخذ ناسٌ دوني فأقول مني ومن أمتي ، فيقال: أما شعرت ماعملوا بعدك؟ والله مابرحوا بعدك يرجعون على أعقابهم) والناس أصبح عندهم استسهال عجيب بالبدع لبّس عليهم الشيطان وغرّهم بها وسهلها عليهم استحسنوها واقتنعوا بها وأقنعوا بها غيرهم والأمر عندهم بمنتهى البساطة.

وأهل العلم يقولون : إن من حسّن البدعة بقلبه لايكون من أهل تحقيق التوحيد لأن حركة القلب هذه في غير تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله .

وأنت ترى اليوم بدعة المولد النبوي التي انزلق فيها من انزلق فمنهم من انزلق بماله ومنهم بجسده ومنهم بجهده ومنهم من انزلق بلسانه ومنهم من حسنها بقلبه ومهما قلنا أن هذا لم يرد عن رسول الله ولا أثر عن الصحابة ولا عن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ولاعن التابعين(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ومهما قلنا أن الأعياد شريعة ولابد أن يستدل لها بدليل .

وأن العبادات في الدين توقيفية والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (قد تركتكم على الواضحة فلا تذهبوا يميناً ولا شمالاً)رواه أبو داود.

وبلفظ : (تركتكم على المحجة البيضاء لايزيغ عنها إلا هالك)

(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)، (من رغب عن سنتي فليس مني )، (إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها)

ومهما قلنا كأننا لم نقل شيئاً هذا فضلاً عن بقية البدع بدع عاشوراء و بدع رجب وبدع العزاء وبدع الأدعية والأوراد والأذكار وتخصيص أماكن وأزمنة معينة للعبادة وغيرها من البدع.

فإياك والتعبد لله بالبدعة ولاتستهين بالبدع مهما كانت صغيرة في نظرك فالبدعة تقدح في توحيدك، والأصل لكل من أراد حسن الخاتمة أن يكون توحيده صافي لأن التوحيد هو المعبر وهو الملجأ الذي جعله الله لحسن الخاتمة. والتوحيد لا يصفو إلا إذا سلم من كل أنواع البدع الإعتقادية والعملية والقولية والفعلية، التوحيد القوي والإيمان القوي هو الذي يثبتك الله به عند الموت فإذا أعطاك الله كلمة التوحيد ونطق بها لسانك عند الموت فلن تهلك ولن تضيع وأعلم أنك نجوت (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)

وهذه من أكبر علامات حسن الخاتمة ولن ينطق بكلمة التوحيد إلا من عاش على التوحيد وصفَى هذا التوحيد من البدع والشركيات والخرافات والدجل والشعوذة عندها سينقذه الله بكلمة التوحيد ويموت على التوحيد.

- آسية امرأة فرعون تلك المرأة التي امتلأت إيماناً وتوحيداً ذكر ابن الجوزي: أن فرعون قيدها وربط يديها ورجليها بأوتاد وكان يعذبها بالشمس فإذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة حتى كُشف لها عن بيتها في الجنة ورأته قبل موتها وهذا هو تبشير الملائكة وتثبيتهم لأهل التوحيد.(زاد المسير)

-أما عمرو بن عبيد الذي قال عنه الذهبي: مبتدع ضال عنده ست أنواع من البدع رآه بعضهم قد مُسخ قرداً ولم يحمل جنازته إلا أربعة فقط.

ولو قارنت بين جنازته وجنازة الإمام أحمد رحمه الله إمام أهل السنة والتي قال عنها الذهبي: لم ير مثلها قط من كثرة من صلى عليه وحمله وشيعه وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الاستقامة : (أهل البدع ممن يسبّ الصحابة كلما تقدمت بهم السن تُقبح وجوههم ، حتى بلغنا بالتواتر أن بعض وجوه أهل البدع تُمسخ عند الموت قردةً وخنازير) وهذه عقوبة معجلة في الدنيا ونذير شرّ لما بعد الموت وماربك بظلام للعبيد.

وصاحب التوحيد كلما تقدمت به السن فإنه يزداد نوراً وهذا هو نور التوحيد الذي كان يعيشه.

ومن صفى صُفي له

ومن كدَر كُدِر عليه

ومن عاش على الخيرفي حياته لقي الخير عند مماته.

وقد جاءت البشائر للموحدين الذين معهم أصل التوحيد وهي علامات حسن الخاتمة:

١. المبطون شهيد: كل من أصيب بداء البطن (كالكبد والتليف الكبدي وأي مرض بالبطن) اذا مات صاحبه موحداً محتسباً فلا شك أنه يجري عليه أجر الشهيد.
٢. المطعون شهيد: من مات بداء الطاعون وألحق به بعض العلماء المعاصرين السرطانات.
٣. الغريق شهيد.
٤. الحريق شهيد.
٥. الهدم : من سقط عليه وألحق به بعض العلماء المعاصرين حوادث السيارات قالوا لأنها أشنع في ألمها من الهدم.
٦. المرأة تموت في نفاسها شهيدة يقودها مولودها بسرره إلى الجنة.
٧. الموت برشح الجبين: (موت المؤمن بعرق الجبين) أخرجه أحمد.

٨. الموت على عمل صالح: قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله بعبدٍ خيراً استعمله قيل كيف يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه)

- انظر درس الشيخ عبد العزيز السدحان (حسن الخاتمة وسؤها)

ومن أمثلة العمل الصالح وجاء في الحديث:

(من صام يوماً ابتغاء وجه الله خُتم له به دخل الجنة)(صحيح الترغيب والترهيب)

(من تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتم له به دخل الجنة)(صحيح الترغيب والترهيب)

(من خُتم له بإطعام مسكين محتسباً على الله عز وجل دخل الجنة)أخرجه أحمد.

(ورجل في بيته لايغتاب مسلماً ولا يجر إليه سخطاً ولا نقمة فإن مات كان ضامناً على الله)ضامناً أن يدخله الجنة.

من أراد الآخرة سعى للآخرة

ومن أرد الجنة سعى للجنة

ومن أراد حسن الخاتمة يسعى لحسن الخاتمة

والأيام تطوى والمسافات تطوى والعمر يمضي والدقائق محسوبة والله يُحب أن يرى عبده في المقدمة يسارع ويبذل نفسه له (وعجلت إليك ربي لترضى) مثل هذا لن يخذله الله عند لحظة قبض الروح ولتأتِ المنيةُ في أي وقتٍ فمرحباً بلقاء الله طالما أنه سائر إلى الله وهو صادق ويتحرك وهو موحد.

والكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

انتهى اللقاء الأول

# اللقاء الثاني

٢-السبب الثاني من أسباب سوء الخاتمة:

**مخالفة الظاهر للباطن**: وهذا هو الداء العضال ،الداء الدوي الذي يكمن فيه المرض الخفي ، أن تختلف سريرة الإنسان وباطنه عن ظاهره وأن يضمر شيئاً ويظهرللناس شيئا آخر.

والسريرة تطلق على أمرين:

١. أعمال السر والخفاء ومايدور في الخلوات.
٢. وتطلق على مايدور في القلوب التي هي عوالم مغلقة لايعلم ما فيها إلا مالكها وهورب العالمين وقد يكون فيها من الدسائس والشوائب والأسقام والعلل والأسقام والخبايا مافيها ، وأدواء النفس كثيرة: (من كبر- غرور- عُجب – نفاق تملق- غلّ- حقد-حسد-سوء ظن- رياء – مكر-خيانة)وغيرها وغيرها من الأمراض والعلل التي تدوروتجول وتصول في القلوب.

وهذه هي المعاصي القلبية (كبائر القلوب)هي أشد من معاصي الجوارح لماذا؟

١) لأنها آفات وأمراض مهلكة للقلب متلفة له والقلب هوأغلى وأشرف وأنفس عضو عند الإنسان إذا فسد فسد الجسد كله.
٢) كما أن هذه المعاصي القلبية إذا استقرت في القلب وتمكنت منه ورسخت فيه فإنها تفتت الإيمان وتنتزعه نزعاً وتسلبه سلباً.

الرياء والعُجب محبط للعمل(أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)

والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

والكِبر (لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر)

البغضاء والشحناء والضغينة التي تطحن وتدور في الصدور مثل الرحى وتفسد ذات البين هي (الحالقة التي لاتحلق الشعر وإنما تحلق الدين).

هذه المعاصي القلبية هي أقفالٌ على القلوب ومن أكبر الأسباب التي تكون أغلِفة عليها وخاصة الران وهو غلاف كثيف يغطي القلب ويحجبه عن الهداية والنور.

وكلما زاد الران قسا القلب وزادت وحشته وغلظته وقلت دموعه.

وكما قال ابن رجب رحمه الله: (إذا عري البدن رق وكذلك القلب إذا قلت خطاياه أسرعت دمعته)

## ماعلاقة سوء الخاتمة بهذه المعاصي القلبية والدسائس القلبية؟؟

أولاً: قد تكون كما يقول ابن رجب في جامع العلوم والحكم:(إن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لايطلع عليها الناس)

- قزمان رجل شارك مع رسول صلى الله عليه وسلم في إحدى غزواته وقاتل المشركين قتالاً شديداً ماترك شاذة ولافاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه) حتى قال الصحابة: ما أجزأ منا اليوم كما أجزأ فلان. أي ما قاتل أحد مثل ماقاتل، فقال لهم رسول الله : هو في النار!!

كاد الناس أن يفتنوا كيف يقاتل شخص بكل هذه البسالة والقوة والشجاعة ثم هو في النار؟ فتتبعه أحد الصحابة وسار وراءه ليرى لماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار؟ فوجده قد أصيب بجراح ولكنه لم يتحمل ألمه فأخذ سيفه ووضعه على الأرض واتكأ عليه فقتل نفسه، فلما أُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعل قزمان قال:(إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)

قال ابن قتيبة : كان منافقاً وقتل نفسه (كان في سريرته نفاقاً)

- عبد الله القصيمي عُرف هذا الرجل بالعلم وقويت مادته العلمية كان يؤلف في التوحيد ويرد على شبه المبتدعة أثنى عليه العلماء والناس حتى أثنى عليه إمام الحرم على المنبر.

لكن الرجل كان معجباً بنفسه حتى قال عن نفسه..

ما أنا إلا الشمس في غير برجها وما أنا إلا الدرّ في لجة البحر

فماذا صنع الله به؟

وكيف كانت خاتمته؟

رجع عن دينه وانتكس وانسلخ بعد أن كان يؤلف في التوحيد ويحارب البدع ألف كتاباً يسب الله عز وجل فيه من أين خُذل؟؟

من سريرة السوء التي أنطوى عليها صدره ومن الداء الدوي الذي كان يضمره.

وصدق الله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)راجع درس(الميت البغيض)للشيخ سمير مصطفى.طريق السلف.

ونحن قد نخدع الناس بكلامنا ولباسنا ومظاهرنا ننافق، نمثّل ، نزيف نلبس لباس أهل الصلاح وأهل العلم والناس ليس لهم منا إلا الظاهر فقط والله وحده هو المطلع على السرائر والبواطن والنيات فإذا كان يوم القيامة كشفت هذه النوايا وهذه المقاصد والله يقول (أفلايعلم إذا بُعثر مافي القبور وحُصل مافي الصدور إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير).

فنسأل الله كما سترنا في الدنيا أن يسترنا في الآخرة.

ثانياً : أن تكون خلواتهم مريبة سيئة إذا خلو بأنفسهم وأقفلوا عليهم أبوابهم انتهكوا حدود الله ومحارمه ، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه سيأتي أقوامٌ من أمته معهم حسنات كأمثال الجبال ثم يجعلها الله هباءً منثوراً لماذا؟ يا رسول الله؟ كان هذا حالهم؟{إذا خلوا بمحارم الله أنتهكوها} أي يأتون بحسنات من صلاة وصيام ونوافل وتعليم للناس،حج وعمرة ثم كأنها لم تكن .

أهلكتهم ذنوب الخلوات وعصفت بهم وبحسناتهم مثل الريح التي تعصف بأوراق الشجر عصفاً فلاتُبقي منها شيئاً.

هذه الخلوات بلاؤها عظيم وهي امتحان حقيقي للنفوس يتميز فيها الصادق من المنافق في هذه الخلوات تقع الخيانات (إذا أقفل الواحد منهم عليه بابه كأن عين الله لاترقبه (***يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون***)

كم من نساء خائنات، خانت نفسها وربها وزوجها وأولادها وأهلها دخولها وخروجها مريب ،اتصالاتها مُريبة ،صديقاتها مُريبات وكل هذا وهي تدور في دائرة الخيانة.

وكم من الرجال من صبّ نفسه في قالب الدين وأهل الصلاح ثم هو يقضي ليله على الأفلام والمواقع الإباحية، وغيرها من الأمور التي لاترضي الله عز وجل.

وكم من أناس ستذهب وتذهب حسناتهم بسبب هذه الخيانات حين استهانوا بنظر الله إليهم وستخونهم قلوبهم وأنفسهم في اللحظات الأخيرة عند الخاتمة وقبض الروح وهم أحوج مايكونون للتثبيت ويُخذلوا من قِبل أنفسهم والعياذ بالله ويُختم لهم بالسوء بسبب خياناتهم (التي أضمروها وانطووا عليها وإن كانوا أظهروا للناس خلاف ما أبطنوا)

والجزاء من جنس العمل، والله عز وجل لايحب من كان خوّاناً أثيماً والخوان هو من كثرت خيانته وإن من عقوبات المعاصي أنها تسلب معية الله من العبد فالذي يخون ويخون ويخون ويكرر ويُقيم على معصيته فإنه يحرم نفسه معية الله (هذا الأمان الكبير وهذا الحصن الكبير وهذه العناية والحفظ) فإذا حُرم المعيّة يُترك لنفسه ويُخلى بينه وبين نفسه وهذا منتهى الخذلان أن يتخلى الله عنك وتُترك لنفسك، ومن تُرك لنفسه لن يُوفق في (دنياه ولن يوفق عند خاتمته وقبض روحه ولن يوفق في آخرته) انظر لدرس الشيخ صالح آل الشيخ (من وصايا ابن مسعود)،(ومن وصايا أبي الدرداء)

وهذا يكفي لمن كان له قلب وبصيرة أن يرتدع ويترك مثل هذه الذنوب .

وقد قال ابن القيم رحمه الله:(ومن أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخذله ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنة )مختصر الداء والدواء صفحة(٧٥١)،

٣) **السبب الثالث: التعلق:** أن يتعلق قلبك بشيء من أمور الدنيا وتركن إليه ركوناً قوياً تنغمس فيه وتغلو فيه وتفرط في حبه إفراطاً شديداً هذا الشغف والحب والوله يثقب القلب ويملكه حتى يصل صاحبه أن يقدم هذا الشيء الذي تعلق فيه على الله وعلى شريعته وعلى أوامرالله (*وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ* )

- شاب في زماننا المعاصر وقع في العشق (وكم أذاق العشق صاحبه من حسرات)جهز نفسه لمعشوقته حتى يزني بها فاتصلت واعتذرت عن المجيء فأصبح كالمجنون وثارت ثائرته، فدق جرس الباب فإذا هي واقفة أمامه حضرت أحبت أن تعملها له مفاجأة ومن قوة المفاجأة ونشوة هذا العشق وهذا التعلق الذي امتلأ به قلبه أحب أن يشكرها فسجد لها ومات على تلك السجدة وقبضت روحه في تلك السجدة .

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) هو مكر يريد الزنا ومكر الله به حين أماته في تلك السجدة، وما أقامه منها،يُبعث أُناس يوم القيامة يُلبون ويبعث أُناس يسبحون ويهللون ويُبعث أناسٌ وجوههم كالبدر ويُبعث المجاهدون ودماؤهم رائحتها مسك وجراحهم تثغب بالدماء، ويبعث هذا المسكين بشرك وكفر وقد سجد لامرأة!!!

وصدق الله:

(***وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال***)

- ودعنا نقف مع آية الفرقان:

يقول تعالى (***ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، ياويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً***...) تصور المنظر أمامك يدخل يديه الاثنين ويعض عليهما يقول عطاء : يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين ثم تنبتان فلايزال هكذا، كلما نبتت يداه أكلها ندامةً على ما فعل)زاد المسير.

يالله ما أعظمها من حسرة!

وما أعظمها من ندامة!

وما أعظمه من غبن!

(ياليتني ما سمعت كلامها، ياليتني مامشيت معها، ياليتني ما صاحبتها ياليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً.....

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم(إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ...

- كل من أطاع مخلوق في معصية الخالق، أو آثر محبة هذا المخلوق على محاب الله وقدمه على الله

***فسوف يسلّط الله عليه ذلك المحبوب فيُعذب به.***

إما أن يعذب به في الدنيا أو في الآخرة ، وهذه سنة الله تعالى، وسنن الله لاتتبدل ولاتتغير هذا الوله...والعشق...والتعلق أمور يتصورها الإنسان عذبة لذيذة ثم لايلبث أن يتحول العذبُ إلى عذاب

كم من أناس التمسوا رضا الناس بسخط الله فنغّص الله عليهم وكدّر عليهم وسلّط عليهم هذا المحبوب وعذبهم بهم.

إذا يامن تبحث عن حسن الخاتمة

## انظر بمن تعلق قلبك فإنك ستموت على ماتعلّق به قلبك

- من أُشرب قلبه بحب الغناء وتعلق بالدندنة والعود والسهرات والجلسات سيموت على الغناء.

- فهذا رجل معلق قلبه بالأغاني ودع الدنيا على صوت أم كلثوم وهي تغني رفض أن يضعوا له شريط قرآن وأصّر على أم كلثوم فمات عليها!!!

(انظر الدرس لمحمد حسان (صور من سوء الخاتمة)

- وتلك راقصة أشرب قلبها بحب الرقص أقامت حفلاً ببيتها لبست ملابس الرقص وبدأت برقصها وتمايلها سقطت وهي تميل وتؤدي إحدى حركات الرقص فما قامت من سقطتها عاشت على الرقص وماتت على الرقص والعياذ بالله.(نفس المصدر السابق)

- وآخر كان مفتوناً بالشطرنج فلما احتضر قيل له : قل لاإله إلا الله فجعل يقول (شاه، رخ : أسماء لحجرين من حجار الشطرنج ) غلبتك ثم مات.

(انظر كتاب الجزاء من جنس العمل)

- وقيل لآخر : قل لاإله إلا الله فقال: كلما أردتُ أن أقولها لساني يمسك عنها(نفس المصدر)

كيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل الله قلبه عن ذكره ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطاً؟؟

فبعيدٌ من قلبه

بعيدٌ من الله تعالى غافل عنه، متعبدٌ لهواه ، أسير لشهواته، ولسانه يابس من ذكره ، وجوارحه معطلةٌ عن طاعته ، مشتغلةٌ بمعصيته أن يوفق للخاتمة الحسنة.(المصدر السابق)

***يثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء)*** إبراهيم(٢٧)

## السبب الرابع : الأماني وطول الأمل:

أكثر ماضيع الناس في هذه الدنيا الأمانيّ التي هي بضاعة الشيطان وأكبر فخوخه قال صلى الله عليه وسلم:(إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه)

أي : مامن طريق أو منفذ إلا وهو جالس له فيه ينصب شركه وحبائله ومصائده للإنسان حتى يسقط أو يقع أو يزل أو على أقل تقدير يتأخر ويتعرقل، ومن أكبر الفخوخ التي ينصبها الشيطان للإنسان ويضحك فيها عليه ويغرر به ويخدعه هي الأمانيّ:(***ولأضلنهم ولأمنينهم***...) ،(***يعدهم ويمنيهم وما يعدهُم الشيطان إلا غروراً***)

يصبح عنده غرور بالوقت، وغرور بالعمر، وعنده أمل طويل ممتد أنه سوف يعيش ويعمل وبكره وبعده والسنة الجاية ، وبعد شهر وبعد شهرين ولما أتقاعد ولما أزوج أولادي ولمّا ولمّا .. . ولم يعرف هذا المسكين أن كل يوم يمر عليه يطوي مسافات ومسافات للموت.

-هناك أناس بلغوا الأربعين من أعمارهم أو تجاوزوها وحتى الآن لم يحِجّوا فريضتهم رغم أنهم موظفين وموظفات عندهم رواتب عندهم دخل لديهم المال ولكنهم يخلقون الأعذار ويمنّون أنفسهم وكل سنة السنة الجاية حنطلع الحج ، السنة اللي بعدها حنطلع الحج .

والله عز وجل في الحديث القدسي يقول:( إن عبداً صححتُ له جسمه ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لايفدُ إليّ، لمحروم)(صحيح الترغيب والترهيب(٤٢/٢)

وهؤلاء ليست خمسة أعوام بل ثلاثين وأربعين سنة ماحجوا ولا وفدوا ولا ذاقوا طعم الحج ولذة الحج وما حرمهم ولاضيعهم إلا طول الأمل!!!

-الجماعة اللي ماهم ارضين عن أنفسهم من سنين وهم يريدون تغيير أنفسهم وإصلاح أنفسهم وهم على نفس الحال ونفس الكلام سوف أعمل وأعمل وكل ما شافتك(ادعيلي – بالله ادعيلي ينصلح حالي – وأتحجب – وأترك الأغاني وأفعل وأفعل)

ومن سنين وهي على نفس الموال ماتقدمت خطوة ولاتحركت شبراً

ما ضيعها ولا حرمها إلا طول الأمل.

قانون التغيير واضح ***(إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)***

ياعبد إن غيرت غيّر الله لك يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:(عبدي قُم إليّ أمشي إليك)

مجرد أن تقوم ، وتبدأ الخطوة الأولى ، وتشد عقدة العزم وتنطلق إلى الله

فإن الرب كريم .

سيحسن إليك ويعينك ويغير لك ويرسل إليك من يحملك إليه ويدلك عليه ويخفف بدنك للسير إليه .

أما أن تعيش في بحور التمني التي لاساحل لها وتغوص في هذه البحورالتي هي (بضاعة المفاليس) فلن تصل لشيء وسيبقى قلبك ضعيفاً وستبقى أنت أنت ولن تتغير، ويفاجئك الموت وتفاجئك لحظة الخاتمة التي لم تكن على بالك.

## (يا ابن آدم لاتغتر بأملك وأعلم أن أجلك أسبق إليك من أملك)

ولايعني هذا أن نُيأس الناس من دنياهم وأن نأمرهم أن يقفلوا عليهم أبوابهم وينتظروا الموت هذا ليس صحيحاً والشريعة لم تأمرنا بذلك ولكن لاتنس أنك مسافر وكلنا على سفر، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عمر رضي الله عنه :(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)الغريب مسافر عابر السبيل مسافر ، وكلنا إلى ربنا مسافرون والمسافر يفترض أن يكون قلبه مشغولاً بسفره ورأس ماله في هذا السفر هو عمره، فكيف يضيعه بطول الأمل والأماني والخيال.

أنت إذا طال أملك بهذه الصورة ستضيّع آخرتك وتهمل آخرتك ولن تبني مستقبلك وقبرك لن تزاحم على باب الجنة التي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مابين مصراعيه مسيرة أربعين سنة وليأتيّن عليه يوم وهو كظيظ الزحام.

اسأل نفسك أين أنت من هذا الزحام؟ الناس تزاحم والكل يريد أن يسبق ويكون في الفوج الأول ومع الزمرة الأولى وأنت أين أنت؟؟

كنت نائماً مع النائمين ؟ أم جالساً مع الجالسين؟ أم متمنياً مع المتمنين ؟ أم كنت تخوض في الأمل والتسويف؟

وتعتقد أنك في الآخرة ستؤتى صحفاً منشرة وتنادى من أهل اليمين؟؟؟

وعمار الآخرة كانوا في مضمار سباق فسبقوك وشمرّوا واستعدوا وداوموا واستقاموا قصّروا أملهم وكل من قصُر أمله استقام.

وأهل الاستقامة موعودون بالخاتمة الحسنة ***(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)***

الشافعي قال: ماكذبت قط منذ علمت أن الكذب حرام .

البخاري: ما اغتبت قط منذ علمت حكم الغيبة.

أم حبيبة رضي الله عنها لما روت حديث (من حافظ على ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة) تقول: منذ سمعتها ماتركتها قط.

أبو هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث :(ركعتي الضحى، صيام ثلاثة أيام من كل شهر وأن أوتر قبل أن أنام)لاأدعهن حتى أموت.

ماترك عليّ رضي الله عنه التسبيح الذي علمه إياه رسول الله هو وفاطمة حين يأويان إلى فراشهما يسبحان لله ثلاثاً وثلاثين ويحمدان ثلاثاً وثلاثين ويكبران أربعاً وثلاثين، فيقول ماتركته قط منذ أن علمني إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-هؤلاء هم أهل الإستقامة والثبات هؤلاء هم عمار الآخرة ليس عندهم تلاعب ولا انتكاسات ولا روغانات وربطوا أنفسهم بالآخرة فجدوا واجتهدوا.

-أما صاحب الأماني الذي طال أمله وعاش في التمني والخيال والتسويف

فليحذر:

**ففي لحظة من التفريط يكون الانزلاق** أماني وتسويف وأمل وأحلام وغفلة وتقصير ثم تفاجأ بالموت وبملائكة سود الوجوه وأنت في بحر الأماني وأنت في لحظة الانزلاق فمن أين لك حسن الخاتمة؟

## السبب الخامس : المعاصي بدون توبة:

يقول ابن القيم رحمه: واعلم أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسباباً ولها طرقاً وأبواباً وذكر منها الجرأة على معاصي الله.

## ما علاقة المعاصي بسوء الخاتمة؟

يقول الله عزوجل:***(بلى من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)***انظر التصوير ودقته (***وأحاطت به خطيئته***):الذنب يستدعي ذنباً آخر والآخر يستدعي ثالثاً والثالث يجر رابعاً... يعني ذنباً يجر ذنباً ومعصية تجر معصيةً حتى تغمره خطاياه وتحيط به ذنوبه فإذا أحاطت به بدون توبة ولا رجعة خذله الله عند الموت والعياذ بالله، وهذا من أصعب عقوبات المعاصي(وقلَّ من يتفطن لها) وهي أن عقوبة المعصية لاتأتي أحياناً مباشرة بل يؤخر الله عقوبتها فتكون بعد حين وربما هذا الوقت لايكون إلا عند قبض روحه في لحظة الخاتمة تأتي العقوبة.

## لذلك كان ابن عباس يقول:

## ياصاحب الذنب.... لاتأمن سوء عاقبته

كم عاش فرعون حتى عاقبه الله؟ يقول أهل التاريخ ٤٠ سنة ، فرعون الذي قتل بني إسرائيل واستحيى نسائهم وصلب السحرة وأهان بني إسرائيل وأذلهم واستعبدهم وردّ موسى وعيّرهُ وطغى وظلم وتجبر وأفسد في الأرض أملى الله له وأمهله وبعد ٤٠ سنة عاقبه بذنبه فأغرقه في اليّم.

أهل السلف كانوا يخافون جداً من الخواتيم بل واشتد خوفهم منها، سفيان الثوري رحمه الله كان يبكي ويقول:أخاف أن أُسلب الإيمان عند موتي أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً.(جامع العلوم والحكم)

كانوا يخافون أن تزل أقدامهم وأن تنطمس بصيرتهم وأن يُغلق على قلوبهم وألسنتهم فلا ينطقون بلاإله إلا الله.

مالك بن دينار رحمه الله كان إذا قام في الليل يقبض على لحيته ويقول: يارب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ؟ ففي أي الدارين منزلك يامالك؟(جامع العلوم والحكم)

لماذا كانوا يخافون؟ لأنهم كانوا على علم أن المعاصي تخذل أصحابها وهذا مثال على الخذلان العظيم والعياذ بالله: قال الإمام القرطبي: كان رجل يؤذن فصعد ليؤذن ، فنظر إلى إحدى البيوت حول المسجد فرأى امرأة جميلة أخذته بجمالها وسلبت عقله وفتنته فنزل من المئذنة إلى بيتها مباشرة وطرق الباب ففتحت له : قال: أريد أن أتزوجك ، قالت: أبي لايوافق أنت مسلم وأنا غير مسلمة قال : أتنصر واترك ديني لأتزوجك فانسلخ من دينه حدّدوا موعداً للعرس وفي ليلة عرسه صعد على سطح بيته ليقضي حاجة له فسقط وُدق عنقه ومات ، لاظفر بالمرأة وتزوجها ولا ظفر بالإسلام ومات على التوحيد بل مات كافراً، خذلته معصيته وخسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

**ومن باب الاستطراد يمكن تقسيم الناس مع إلى أربعة أقسام :**

## -الصنف الأول الحاجز الذي بينهم وبين المعصية كالجبل:

والجبل قوي متين راسخ صلب بمعنى أنهم في منأى عن المعصية لايرون لونها ولايسمعون صوتها ولايجدون ريحها ولايتأثرون بها ،حمى الله قلوبهم وجوارحهم من أن تتعلق بالمعاصي وبالحرام أو أن تتشربها وحمى الله أبصارهم من النظر للحرام وحمى أقدامهم من المشي للحرام وحمى آذانهم من سماع الحرام وأنفسهم لاتميل إلى الحرام.

هذا الصنف من الناس ليس مشغولاً بمجاهدة نفسه على ترك المعاصي وترك الحرام بل هم مشغولين بتربية أنفسهم على المراتب العالية كيف أكون من الصديقين ؟ كيف أكون من المخلصين؟

كيف أحقق أعلى مراتب الورع وهكذا، لايعني أنهم معصومين ولا يقع منهم معاصي وزلات لا، وإنما المقصود أن هفواتهم وزلاتهم ومعاصيهم يسيرة وقليلة وإن وقعت منهم وقعت على غفلة، أمر عارض .

اختلاس يختلسه الشيطان منهم بكلمة عابرة ، أو تصرفٍ في ساعة غضب ونحو ذلك وتجدي الواحد منهم من شدة حساسية قلبه وقوة إيمانه وقلة معاصيه يشعر وكأن هذا الذنب اليسير الذي وقع كأنه جبل يوشك أن يقع على رأسه فيهلكه ويقضي عليه ، فيستغفر ويندم ويتوب ويرجع ويكثر من الحسنات الماحية ويشارط نفسه ويعاقبها وهذا هو حاله مع نفسه.

الروح عندهم عامرة بالإيمان

الروح فيها شفافية ، فيها صفاء

وهذه هي النفوس الكبار ، النفوس السباقة، جعلنا الله منهم أجمعين.

## -الصنف الثاني: الحاجزالذي بينهم وبين المعاصي كالزجاج:

بمعنى أنهم ليسوا ممن يخوض في المعاصي ويخترقها ويخطط لها ويقترب منها ويبحث عنها لكنهم يرونها ويرون ألوانها وحركاتها الحاجز بينهم وبينها من زجاج والزجاج ليس كالجبل هذا الصنف أقل شأناً من القسم الأول فيهم خير وصلاح وتقوى وإيمان ومجتهدون في تربية أنفسهم ولكن فيهم شيء من الضعف قد تميل أنفسهم لشهوة من الشهوات أو معصية من المعاصي ويدندنون حولها وتبدأ النفس تنازعهم وتغالبهم وتجاذبهم عليها والطريق ميسرٌ لها إلا أنهم يؤثرون على الله على أنفسهم وعلى شهواتهم وعلى مايدور في صدورهم.

الغالب عليهم (تحقيق مقام الإيثار) والترك لله ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ومقام الإيثار يُحصّل العبد ثمرته في العاجل قبل الآجل مع مايدخره له عند ربه وما عند الله خيرٌ وأبقى.

وحتى أقرب لك صورة التفاضل بين القسمين لأن كليهما في المراتب العالية أسوق لكِ خبر الأمراء الثلاثة الذين حملوا الراية في غزوة مؤتة

زيد بن حارثة حمل الراية دخل ساحة القتال مسرعاً فقاتل حتى قُتل

ثم جعفر بن أبي طالب حمل الراية ودخل ساحة القتال مسرعاً فقاتل حتى قُتل.

ثم عبد الله بن رواحة حملها وتردد قليلاً فقط ثم دخل وقاتل فقُتل رضي الله عنهم أجمعين.

ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء القادة؟؟

(رأيت الثلاثة رُفعوا على أسرة من ذهب ورأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سرير صاحبيه فقلتُ عمَ هذا ؟ فقيل : مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى)

وصدق الله عز وجل ( ولكلٍ درجات مما عملوا...)

**-الصنف الثالث : الحاجز الذي بينهم وبين المعصية كالماء:**

والماء أسهل من الزجاج ، الزجاج يؤذي إيذاءً شديداً لمن كسره واقتحمه أما الماء فلا يكون إيذائه كالزجاج هذا الصنف فيهم إيمان وخير ولكن فيهم ضعف أكثر من الصنف السابق بمعنى : أنهم يمكن أن يقتربوا من المعاصي ويخوضون فيها ويتلبسون بها لكنهم في جهاد مع أنفسهم وفي مدٍ وجزر مع أنفسهم مرة تغلبهم ومرة يغلبونها يدورون بين مقام (الخوف والتوبة)

-أحياناً تغلبها نفسها وتقع في المعصية ولكنها وهي في معصيتها ضميرها يؤنبها ونفسها تجلدها وتنزع وتترك وتقوم هذا مقام الخوف من الله ولعل الله أن يبدل هذه الإساءة إحساناً بسبب هذا الخوف

ومرة تكمل المعصية وتتلذذ فيها وتنتهي لكنها إذا انتهت عاتبت نفسها ولامت نفسها وأنابت وتابت ورجعت واستغفرت وهذا مقام التوبة وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:(الندم توبة) فهم بين خوف وتوبة.

**-الصنف الرابع : الحاجز الذي بينهم وبين المعصية كالهواء:**

هم والمعصية في رحاب واحد كلما لاحت لهم أو عرضت أدنى بارقة وأقل إشارة للمعصية بدون تردد ولاتوقف ولا تفكير ولا مجاهدة مباشرة يقعون فيها ويخوضون في غمارها ، المعصية عندهم سهلة سهلة جداً أسهل من أن يشرب أحدهم كأس ماء مِثلُ هذا الإنسان يكون مصروفاً لعداوة نفسه والعياذ بالله ، الله يعطيه وهو يعصيه هؤلاء لايمكن أن يكون على بالهم قضية أننا على سفر وأنه يا ابن آدم يوم أو يومين ستجد نفسك في القبر ومن أهل القبور.

وكم في القبور من حسرات وكم في القبور من زفرات وكم في القبور من صرخات هذه قضايا غائبة عن أذهانهم تماماً نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

انصرفوا لعداوة أنفسهم وهؤلاء يُخشى عليهم أن ينطبق عليهم قول الله (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِ ارجعون) إذا عاين ملك الموت أخذ يصرخ ويصيح ربِ ارجعون لماذا؟ (لعلي أعمل صالحاً فيما تركت )

ماهو الرد؟ (كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون)

هم في تلك اللحظة حيل بينهم وبين مايشتهون **ماذا يشتهون؟ التوبة؟** لكن الله حَكَم ولا معقبّ لحكمه وقال : ***( وليست التوبة للذين يعملون السيئات ، حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)***

ليس لك توبة ولن تُقبل منك توبتك ولا أوبتك مهما صرخت ومهما ندمت ومهما بكيت فقد أمهلك ربك( وما ربك بظلامٍ للعبيد)

*ياويح العُصاةِ ماعمِلوهُ قد قيل لهم وما سمِعوهُ*

*كم لِيموا وما عقلُوهُ ذهب العَرَضَ غير أن*

*العِرضَ بالمعاصي دنسَّوه أحصاه الله عليهم ونسوهُ*

**ونسأل الله أن يوقظنا من غفلتنا ويحيّ قلوبنا ويجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم تب علينا لنتوب**

**اللهم تب علينا لنتوب**

**اللهم تب علينا انتوب**

**اللهم غير حالنا لأحسن الأحوال وأصلح قلوبنا وخذ بنواصينا إليك أخذ الكرام عليك**

**اللهم إنا بشرٌ يعرض لنا من الفِتن مايحيدُ بنا عن طريقك فإن حُدنا عنك فردنا إليك رداً جميلاً حميداً يارب العالمين...**